الحياء من الله وسلوكيات الشارع العام (٣)

لازلنا نتحدث عن سلوكيات الناس في الشارع العام وأثر الحياء من الله تعالى عليها، ونحب أن نركز في هذه الحلقة على حق الناس في الشارع العام، وهل يجوز للبعض أن يستولي على هذه الحقوق، ويضيق على الناس فرص استخدامهم للطريق العام أو الشارع العام؟

في البداية نوضح أن الطريق العام أو الشارع العام هو حق الناس جميعاً ليس أحد أحق به من أحد، بل للكل أن يستفيد منه، وبغير أن يحجر على أحد أن يستفيد منه، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن المحافظة على الطريق صالحة لأن يستفيد منه الناس من الأعمال الصالحة، وأفضلها عند الله تعالى وأكثرها مثوبة، ففي الحديث الصحيح: إماطة الأذى عن الطريق صدقة وفيه أيضاً لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين «وفي رواية» مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم، فأدخل الجنة وفي رواية للبخاري ومسلم: **«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ»**.

هذه الأحاديث الصحيحة ترينا الفضل العظيم والثواب الجزيل لمن يزيل أية عقبة على الطريق تسبب أذى أو إعاقة لمن يمشي على الطريق ويستخدمه، وبمفهوم المخالفة تعطينا هذه الأحاديث أن من يتسبب في إعاقة الطريق، ومن يتخذ من السلوكيات أو الأفعال ما يضيق على المسلمين طريقهم، أو يصعب عليهم مسيرتهم، أو يؤذيهم عند سيرهم، فعليه من العقاب أشده، وله من الوعيد أعظمه، وإذا دخل شخص الجنة بسبب غصن شوك نحاه عن الطريق، فإن من يضع الشوك ويعوق

الحركة على الطريق ربما يدخل بذلك النار. هذا ما يجب تقريره قبل أن نتحدث عن استيلاء البعض على حقوق الناس من الطريق العام أو تضييقهم عليهم فيها.

والسؤال الآن. ما الفرق بين من يضع غصن شوك في الطريق العام يؤذي المارة عليه، ومن يضع متاعاً له أو كومة من الرمل أو الزلط أو يضع بضاعته على الرصيف فيسده، ولا يدع للناس طريقاً أو يلجئهم إلى نهر الشارع حيث المخاطر الجمة، واحتمال فقدان الحياة، وليس حدوث الأذى فقط. لا شك أن السلوكين يستويان في إيقاع الأذى بالناس، وربما كان السلوك الثاني أشد إيذاء، وأكثر ضرراً من وضع غصن الشوك، ومن ثم فإن إشغال الشارع العام بما يعوق الحركة عليه سلوك مجرم مؤثم قد تصل عقوبته الأخروية إلى دخول النار والعياذ بالله.

لعل الكثير من الناس يغفل عن هذا، ويجهل هذه العاقبة المؤسفة، ويرى أن ما يفعله أمر عادي ومن حقه، ولذلك فإن التوعية بمخاطر العدوان على الشارع العام، مطلوبة وبشكل مكثف حتى يتنبه الناس إلى خطورته.

ما نقدمه في هذا البرنامج الطيب بصفة عامة وما نحن بصدده هو جانب من هذه التوعية، ولعل الناس تعي وتدرك مغبة العدوان على الطريق العام، وقد كان الإسلام عندما حرم العدوان على الطريق العام يضع للناس أسس التعامل الصحيح في الأشياء المشتركة بينهم، حيث إن النفع يعود على الجميع من احترام الشارع العام، أما الفوائد الفردية التي يحصل عليها المعتدون على الطريق العام، فإن عاقبتها وخيمة عليهم، وضررها بالمجتمع كبير. ولقد كان أهلنا في الريف المصري بثقافتهم الإسلامية يدركون ذلك ويقولون في حكمهم المأثورة: لا توسع بيتك من شارع ولا غيطك من طريق. وعلينا أن نقول في المدينة لا توسع ورشتك من الشارع ولا متجرك من الرصيف، فذلك يعتبر ـ عند التحقيق ـ غصبًا لهذه المساحة من حقوق الناس،

ومعلوم لنا عقوبة غصب الأرض في الإسلام حيث، يقول النبي صلوات الله وسلامه عليه: «**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**» فلينظر المعتدون على الطرق العامة هل لهم الطاقة على حمل هذه الكتل من الأرض مضاعفة سبعة أضعاف. إن الأمر خطير، والناس في غفلة، والغفلة هي شر ما يصاب به الإنسان.

بعض شاغلي الطريق العام يبرر سلوكه بأن غيره يفعل ذلك، أو أنه يدفع ضرائب للدولة، وبالتالي من حقه أن يشغل ما يشغل من الطريق العام، هل هذا تبرير مقبول؟

هذه تبريرات غير مقبولة ففعل الخطأ من شخص أو حتى من كل الناس لا يبرر لك فعله، فأنت مسئول عن نفسك وسلوكك، والخطأ لا يكون صواباً إذا استمرأه كل الناس، والإسلام يريد من الشخص أن يكون شخصية مستقلة، تفعل الصواب ولو لم يفعله أحد، وتتجنب الخطأ ولو أرتكبه كل الناس: يقول النبي صلوات الله وسلامه عليه: «**لَا يَكِنْ أَحَدَكُمْ إمعة، يَقُولُ أَنَا مَعَ النَّاسِ إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنَتْ وَإِنَّ أساءوا أَسَأْتُ، وَلَكِنَّ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تَحْسُنُوا، وَإِنَّ أساءوا أَنْ تَجْتَنِبُوا إساءتهم**»[رواه أبو داود وابن ماجه].

فالمسلم مسئول عن سلوكه ولا يعفيه من هذه المسئولية اجتماع الناس على الخطأ أو استمراؤهم للمنكر، فالخطأ لا ينقلب صواباً إذا فعله كل الناس، والصواب لا ينقلب خطأ وإن تركه كل الناس، أما تبرير ذلك بدفع الضرائب للدولة، فإن الضرائب لا علاقة لها بذلك وهي تدفع من أجل توفير الدولة للخدمات العامة من دفاع وأمن وصحة وتعليم ....إلخ.

كما أن الدولة تحارب العدوان على الطريق العام، وتلاحق مرتكب هذه الاعتداءات، وإن كانت جهود شرطة المرافق في ذلك لا تؤثر كثيراً، لأن العقوبات التي يفرضها القانون على إشغال الطريق ليست رادعة، وينبغي إيقاظ الضمير،

وتفعيل خلق الحياء من الله عند الناس حتى يستجيبوا للجهود المبذولة من شرطة المرافق، ويدرك كل شاغل للطريق العام أنه بهذا السلوك يعتدي على حق المجتمع، وهو أشد من العدوان على حق شخص معين، فحقوق المجتمع هي حقوق الله تعالى، وهو الذي يطالب بها ويحاسب عليها سبحانه وتعالى، فالذي يستحي من الله حق الحياء لا يحترم الحقوق الشخصية للناس، ثم يستهين بحقوق الله تعالى فهذا ليس من الحياء في شيء.